علاقات دول حوض النيل والمواقف الإقليمية والدولية

د. الفاتح الشيخ يوسف (*)

ملخص البحث :

تتناول الورقة محاور عدة فهي تبدأ بالتعريف بالنيل وبدول حوض النيل . كما تتعرض لتوضيح بعض المشكلات بين دول حوض النيل وعلي وجه الخصوص مشكلات الحدود بين كل من مصر والسودان - السودان – كينيا – السودان اثيوبيا منبهه لمثل هذه الإشكالات.

فضلاً عما تقدم ففي الورقة تناول للتعقيدات الإقيليمة والدولية التي تمليها المعطيات الإقليمية والدولية المعاصرة في منطقة حوض النيل باعتبارها منطقة مهمة في مجال العلاقات الدولية خاصة أن النهر يعتبر اكبر أنهار العالم فضلاً عن مروره بأراضي عشر دول افريقية.

إضافة لما تقدم فالورقة تناقش أهمية دول حوض النيل من حيث الموقع الاستراتيجي للمنطقة وأهميتها في عالم اليوم – كما تتعرض للإشكالات والإنقاسمات التي تعيشها بعض دول الحوض سواء كانت سياسية أم أثنية – علاوة علي ذلك تتناول الورقة الراوبط الإقتصادية والسياسية بين هذه الدول خاصة التجمعات الإقليمية.

تمثل العلاقات بين دول حوض النيل أهميه قصوي في ضوء المواقف الإقليمية والدولية في عالم اليوم الذي تتشابك وتتداخل فيه المصالح . خاصة إذا ما نظرنا للظروف الدولية والإقليمية المعاصرة . وتمثل العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية أهمية خاصة في مجال هذه العلاقات ، فضلا عن مصالح مشتركة أخري تقتضي التعاون المشترك بين دول الحوض أخذين في الإعتبار اتجاهات التعاون بين هذه الدول بدلا من الصراع .

(*) أستاذ مشارك - كلية التربية - جامعة الجزيرة - جمهورية السودان.

حوض النيل :

يقصد به مجموع الأراضي التي تنحدر نحو مجري النهر وروافده وتغذيه بالمياه والتي لو سقطت عليها الأمطار أو تفجرت فيها الينابيع لانحدرت إلي مجري النهر[١] . ويمتد حوض النيل في مساحه وأسعه في النصف الشرقي من أفريقيا الشمالية، كما له حد جنوبي يسير مع قمم المرتفعات الواقعة في جنوب بحيرة فكتوريا ، وله حد شرقي يتبع المرتفعات المؤلفة للحافه الغربية من الأخدود الشرقي ويسير مع الحافة الشرقية للهضبة الإثيوبية ويسير نحو الشمال الغربي مع قمم جبال البحر الأحمر ويضم هذا الحد مرتفعات شبه جزيرة سيناء ، وبهذا الفهم فإن الحد الشرقي لحوض النيل ليس ببعيد عن فلسطين وهذه نقطه يجب أن تؤخذ في الإعتبار علي ضوء المتغيرات الإقليمية والدولية المعاصرة .

أما الحد الغربي فيبدأ جنوبا من جبال موفمبيرو ويتبع الحدود الغربية للأخدود الغربي الذي يشمل بحيرة البرت ويتجه نحو الشمال الغربي مع تقسيم المياه بين النيل والكنغو ويغير اتجاهه شمالا ليسير مع مرتفعات دار فور ، ثم في خط متعرج مقتربا من النيل تارة ومبتعدا عنه تارة أخري حتى ينتهي إلي البحر المتوسط غرب الإسكندرية .[٢]

عليه فحوض النيل يقع بين درجتي عرض ٤ جنوباً ٣١½ شمالاً أي حوالي ٣٥ درجة من درجات العرض ، من ثم فهو يضم خمسة أقاليم جغرافية كبري[٣] وهي ظاهرة يتفرد بها حوض النيل .

النيل :

يُعتبر من أكبر الأنهار الدولية في العالم وهو الثاني من حيث الطول إذ يبلغ الطول حوالي ٦٦٧٠ كلم من المنبع حتى المصب .[٤] ويُعتبر هو الأطول في القارة الإفريقية . أما من حيث مساحة الحوض فيأتي في المرتبة الثانية بعد حوض نهر (الكنغو) وللنيل أقسام عدة إذ له مجاري نهرية في المنابع الاستوائية تضم المجاري

النهرية والبحيرات مثل مجموعة بحيرة فكتوريا ، ومجموعة البحيرات الاخدوية ، كما يشمل النيل الأبيض وروافده الذي يبدأ من بحيرة نو . ثم تأتي الروافد الحبشية التي تنبع من الحبشة من الهضبة الإثيوبية وتشمل السوباط والنيل الأزرق ونهر عطبره .[٥]

ثم يأتي النيل النوبي والذي يمتد من الخرطوم حيث يلتقي النيلين الأزرق والأبيض عند نقطة التقاء في منطقة المقرن ويسير حتى أسوان في مسافة ١٨٨٥ كلم من أسوان حتى ينتهي إلي البحر المتوسط حيث يتفرع إلى الشمال من القاهرة إلى فرعين هما دمياط ورشيد في مساحة تقدر بحوالي ١٢٠٥ كلم ، ومن هنا نستخلص أن طول جريان النهر من نقطة التقاء النهرين الأبيض والأزرق في الخرطوم وحتى البحر الأبيض المتوسط يبلغ طول جريانه حوالي ٣٠٩٠ كلم .

منابع نهر النيل :

تنقسم منابع النهر إلى ثلاثة منابع رئيسية :-

الهضبة الإثيوبية ويستمد منها حوالي ٨٥٪ من متوسط الموارد المائية عند أسوان .

الهضبة الاستوائية وتمثل أكثر الموارد انتظاما لإمداد النيل بموارده المائية وتمده بحوالي ١٣ مليار متر مكعب محسوبة عند أسوان .

مجموعة الأنهار الصغيرة التي تصل منها كميات محدودة من المياه ويبلغ إيرادها حوالي ٥١,١ متر مكعب ويفقد معظم هذا الإيراد في منطقة المستنقعات .(٦)

ومجمل القول أن النيل يكتسب أهمية اقتصادية وسياسية قصوى خاصة بالنسبة لدولتي المصب مصر والسودان وتتشابك مصالح هاتين الدولتين مع مصالح الدول الأخرى وهى حوالي عشر دول تعرف بدول حوض النيل الأمر الذي يقتضى التعريف بهذه الدول .

دول حوض النيل :

حوض النيل يتكون من فرعين حوض النيل الأبيض وينبع من الهضبة الاستوائية . وحوض النيل الأزرق وينبع من الهضبة الإثيوبية ويلتقيان في الخرطوم حيث يشكلان النيل الذي يسير حتى البحر الأبيض المتوسط وعدد حيضان النيل الثلاثة تشمل عشر من الدول هي :-

إثيوبيا ، الكنغو، رواندا، بور ندى ، تنزانيا، كينيا ، يوغندا ، إرتريا، السودان، مصر.

ويُعتبر السودان جار لمعظم هذه الدول حيث تجاوره كل من إثيوبيا، إرتريا، يوغندا، كينيا، مصر، وبحكم هذا الجوار ينبغي أن يشكل السودان حلقه الوصل بين هذه الدول لموقعه الهام والاستراتيجي بين هذه الدول وبحكم المصالح المشتركة والتي ينبغي أن تستخدم حلقة وصل لتقوية وترابط مصالح هذه الدول تبادلا للمنافع وسدا للثغرات التي ينفذ من خلالها الأعداء .

وفيما يلي نبذه مختصرة عن كل دولة من هذه الدول .

إثيوبيا :

تقع بين خطي عرض ٤شمالا و١٨ شمالا وخط طول ٣٣و٤٨ شرقا. تبلغ مساحة الدولة حوالي ٠٠٠و١,٢٢٢كلم مربع.

وتقع إثيوبيا في منطقة اتصال بكل من أفريقيا واسيا وقد ارتبطت تاريخياً بالعالم العربي بحكم الجوار. وقد تحولت إلى المسيحية في أواخر القرن الرابع الميلادي(٧). وظلت إثيوبيا بعيدة عن الإستعمار الأوربي عدا فترة قصيرة استعمرت فيها من قبل ايطاليا ١٩٣٦م-١٩٤١م ثم نالت إستقلالها ، وضمت إليها إرتريا في اتحاد فدرالي في عام ١٩٥٢م ثم ضمتها بصورة نهائية في عام ١٩٦٢م وتمكنت إرتريا من نيل إستقلالها وتتعدد في إثيوبيا السلالات البشرية واللغات والأديان .

وتعتمد في اقتصادها علي الزراعة إذ تمثل مصدر العيش لحوالي ٩٠٪من السكان ولا تزيد نسبة الأراضي المزروعة علي ١١ ٪ من جملة مساحة البلاد، إذ تشكل المراعي ٥٣٪والغابات ٧٪ والمتبقي عبارة عن أراض بور . (٨) عاصمة الدولة أديس أبابا وهي مقر الإتحاد الأفريقي ويبلغ عدد سكانها ٧٩,٢٢١,٠٠٠ نسمو وفقاً لتعداد ٢٠٠٨م .

كينيا :

تبلغ مساحة كينيا ٦٥٠و٥٨٢كم . - نالت إستقلالها في عام ١٩٦٣م - تعتمد الدولة علي الزراعة وهي الحرفة الرئيسية للسكان ويعتمد الإنتاج الزراعي علي كمية الأمطار و تتركز الزراعة مع قلة المساحة في المرتفعات الغربية .وهنالك ثلاثة أقاليم زراعية وهي إقليم الساحل وإقليم المرتفعات الداخلية وإقليم نيانزا ويبغ عدد سكانها ٣١,١٣٨,٠٠٠ وفقاً لتعداد فبراير ٢٠٠٧م ويتمثل في شرق بحيرة فكتوريا(٩) أما العاصمة فهي مدينة نيروبى .

اوغندة :

المساحة حوالي ٤٨و٢٤٣ كلم تبلغ المسطحات المائية حوالي ١٥٪ من المساحة الكلية وتتمثل في أجزاء من بحيرات فكتوريا وموبوتو(البرت) وامين (اداورد) وبحيرة كيوجا إضافة إلي المجارى النهرية كنيل فكتوريا ونيل البرت وتمثل هذه المسطحات منابع النيل العليا في هضبة البحيرات ويقدر عدد السكان حاليا بحوالي (٣٣,٣٩٩,٠٠٠) مليون نسمة وتشكل الأراضي الزراعية حوالي ربع مساحة البلاد. عاصمة الدولة مدينة كمبالا.

راوندا :

تبلغ المساحة لهذه الدولة حوالي ٢٦٢٣٠ كلم مربع . ويتعدى سكانها حالياً حوالي ١٠مليون نسمة علي وجه التقريب ويحدها شرقا الأخدود الأفريقي الغربي . يتكون السكان من مجموعة الهوتو او الباهوتو وهم جماعات تنتمي لزنوج البانتو و المجموعة الاخري هم التوتسي أو الباتوتسي وقد جاءت من إثيوبيا ، كما توجد

مجموعات سكانية أخرى خاصة أقزام توا . وتعتمد الدولة علي الزراعة [١٠] وعاصمة الدولة كيجالى. وتُعد من أقاليم الكنغو الكبير وهي منبع نهر النيل العظيم .

بورندى :

جمهورية صغيرة وسط أفريقيا لا سواحل لها تقع ضمن هضبة البحيرات في وسط أفريقيا شمالها راو ندة وشرقها وجنوبها تنزانيا تبلغ مساحة الدولة حوالي ٢٧٨٢٧كلم قدر السكان في عام ١٩٨١م بحوالي ٢و٤مليون نسمة ويبلغ حاليا حوالي (٧,٧٠٠,٠٠٠) مليون نسمة وفقاً لتعداد ٢٠٠٥م تتكون من نفس المجموعات السكانية التي تغطي دولة بورندي وتشهد الدولتان ضغط سكاني أدي لهجرات سكانية إلى الدول المجاورة خاصة من راوندا إلى يوغندة ومن بورندى إلى تنزانيا وزائير ، وتعتمد هذه الدولة كسابقتها على الزراعة .العاصمة بوجمبورا .

تنزانيا :

في منطقة شرق افريقيا المساحة حوالي مليون كلم. تطل على المحيط الهندي عدد السكان حوالي ٣٩ مليون نسمة ينتمون لمجموعة زنوج البانتيو كما توجد مجموعة الحزولو مع مجموعة قبائل نيليه أبرزها قبيلة الماساى ،كما توجد جالية هندية وباكستانية ومجموعات من الأوربيين يعتمد اقتصاد الدولة علي الزراعة .[١١]

وقد تكونت الدولة من اتحاد تنزانيا مع زنجبار في ٢٦ابريل عام ١٩٦٤م حيث كون إتحاد تنجانيقا وزنجبار تحت مسمي تنزانيا في ٢٩ أكتوبر .وعاصمة الدول دار السلام .

الكنغو (زائير) :

مساحة الدولة حوالي ٢,٤مليون كم مربع عدد السكان حوالي ٨٨,٠١٣,٠٠٠ مليون نسمة، الغالبية العظمي من البانتو ،كما توجد مجموعة قليلة من الأقزام العاصمة كنشاسا يعيش ربع السكان في المدن يعمل حوالي ٨٠ ٪ من السكان بالزراعة وتتنح أكثر من نصف إنتاج الماس الأفريقي كما يوجد بها النحاس .[١٢]

السودان :

يقع في الركن الشمالي الشرقي بإفريقيا ، يمتد مابين خط ٢٢درحة الي٣ شمال خط الإستواء وخطى طول ٢٢- ٣٨شرقا يقع في قلب القارة الأفريقية لذا يمثل الجسر الذي يربط بين العالمين العربي والأفريقي وتقدر المساحة حوالي مليون ميل مربع .وهو أكبر دولة أفريقية من حيث المساحة[١٣] ويعتمد في اقتصاده علي الزراعة ، وبه ثروة حيوانية هائلة .كما تفجر فيه خام البترول يبلغ عدد سكانه حوالي ٤٠,٠٠٠,٠٠٠ مليون نسمة.

مصر :

تقع في أقصى الشمال الشرقي من القارة الأفريقية تحد شمالاً بالساحل الجنوبي الشرقي للبحر المتوسط ومن الشرق الساحل الشمالي الشرقي للبحر الأحمر .تبلغ مساحتها ١,٠٢,٤٥٠ كلم متر مربع تقع معظم أرضيها في أفريقيا وجزء منها في اسيا وهى شبه جزيرة سيناء ، تحدها من ناحية الغرب ليبيا ومن الجنوب السودان ، ومن الشمال الشرقي إسرائيل بقطاع غزة وتطل على البحر الأحمر من الجهة الشرقية . وبها قناة السويس التي تفصل الجزء الإفريقي عن الجزء الاسيوى ومعظم سكانها في مدينة القاهرة الكبرى والإسكندرية ، يبلغ عدد السكان حوالي ٧٦ مليون وفقا لتعداد ٢٠٠٩م وتقسم إدارياً إلى ٢٩ محافظة تقسم جغرافيا إلى أربعة أقسام ، وأدى النيل والدلتا والصحراء الغربية والصحراء الشرقية ثم شبه جزيرة سيناء وتشكل الصحراء ٩٦٪ من مساحة الجمهورية بينما المساحة الصالحة للزراعة تشكل حوالي ٤ ٪ . [١٤]

إرتريا :

اشتق الاسم من التسمية اليونانية للبحر الأحمر سينوس اريتريوم وتعني البحر الأحمر .أطلق اليونان الاسم علي إرتريا في القرن الثالث ق.م تخليداً لاسم جزيرة في اليونان تحمل اسم إرتريا .وحينما احتل الإيطاليون إرتريا أطلقوا عليها اسم إرتريا في الأول من يناير ١٨٩٠م . وأطلق عليها المؤرخون الإسلاميون العديد من الأسماء مثل بلاد الزيلع وبلاد الجيرتة وبلاد الاريتريا عند ابن حوقل.

تقع في منطقة القرن الأفريقي بين دائرتي عرض ١٥- ١٨شمالا وخط طول ٣٦-٤٣ شرقاً تجاور السودان من الشمال والغرب ويشتركان في حدود يبلغ طولها ٦٠٥كلم . تجاورها إثيوبيا من الجنوب ، وجيبوتي من الجنوب الشرقي والبحر الأحمر شرقاً مساحتها من حوالي ١٢٠كلم مربع وتتبع لها حوالي ١٢٦ جزيرة أهمها دهلك تشكل حلقه وصل بحكم موقعها الاستراتيجي بين القارات الثلاث أفريقيا وأوربا واسيا . وتشكل الجزر الإرترية نقاط تحكم القوي العسكرية في الصراع الإقليمي والدولي بالمنطقة وتشكل مناطق للتواجد الأمريكي والاسرئيلي . تضم من الأنهار الفاش ، عتسيا (عين سبا) بركة ونهر ستيت وهو نهر غير موسمى يختلف عن الأنهار الأخرى ذات الطبيعة الموسمية ويقع على الحدود الإثيوبية ، ويعرف عند امتداده للسودان بنهر عطبرة ويصب في النيل عند عطبرة .

المساحة ١٢١,٣٢٠ كلم مربع شهدت ثورة مسلحة قادت لإستقلالها عن إثيوبيا بعد السيطرة على اسمرا في عام ١٩٩٣م وكان الإجماع على الإستقلال بنسبة ٩٩,٨ ٪ وأعلن في ابريل ١٩٩٣م ، يعتمد الاقتصاد على الزراعة والرعي ، السكان حوالي سبعة ملايين نسمة تقريبا ، ويبلغ تعدادهم في عام ١٩٩٥م حوالي ٥,٧٤٠,٠٠٠ تتمتع بصفة مراقب في مجموعة دول حوض النيل .

مياه النيل :

تُشكل المياه أهمية قصوي في عالم اليوم سواء كان استخدامها للزارعة أو للشرب أو لشتي أنواع الإستخدام وتتضح هذه الاهمية إذ ما علمنا أن حوالي ٩٨٪ من مياه الأرض مالحة وتشكل المياه العذبة حوالي ٢٪علما بان حوالي ٧٥٪من المياه توجد علي شكل مياه متجمدة في القطبين الشمالي والجنوبي وبالنظر لما ذكر يتضح لنا مدى الشح في المياه العذبة . وبعض الأنهار تمثل مورداً رئيسيا للمياه العذبة وسريان هذه الأنهار لا يخضع للحدود الدولية ، ومجمل الأنهار في العالم يبلغ حوالي ٢٧٠ نهرا دوليا تحظي قارتنا الأفريقية بحوالي ٥٦ نهراً من هذه الأنهار وتعتمد معظم دول حوض النيل علي مياهه علماً بوجود مصادر بديلة لمياه النيل في بعض دول الحوض تتفاوت وفقاً لموقع كل دولة وحظها من هذه البدائل سواء كانت

جوفية أو من الأمطار.[١٥] ومن الحقائق التي ينبغي أن تؤخذ في الإعتبار تأرجح الموارد المائية لنهر النيل وتتوزع الموارد المائية على مختلف روافده وإجمالى المياه الذي يتم تقسيمه بين مصر والسودان يبلغ حوالي ٨٤ مليار متر مكعب في العام يقسم بنسبة ٣-١ وفقاً لإتقافية ١٩٥٩م علما بان هنالك إتفاقية أخري قد جري توقيعها بين كل من مصر والسودان في عام ١٩٢٩م .[١٦]

ونسبة لان النيل يشكل أهمية قصوى لكل دول الحوض خاصة لكل من مصر والسودان .لذا فلابد من الأخذ في الإعتبار مصالح الدول الاخري حين عقدت الإتفاقيات الثنائية بين دول الحوض دون أن تؤثر على الدول الاخري . ومن المعلوم هنالك العديد من الإتفاقيات التي نظمت مياه النيل حتى إتفاقية ٨ ديسمبر١٩٥٩م بين مصر والسودان التي يبلغ فيها نصيب مصر ٥٥,٥ مليار متر مكعب السودان ١٨,٥ مليار متر مكعب.[١٧]

والواقع أن دول حوض النيل الاخري لا تعترف بهذا الإتفاق فضلاً عن عدم إعترافها بالإتفاقات الاخري السابقة إذا تري أنها وقعت في فترة كانت فيها دول الحوض تحت الإستعمار أو أنها إتفاقات مضى عليها الزمن ولا تتوافق مع حاجتها المتجددة للمياه وبالتالي تري ضرورة إعادة النظر لهذه الإتفاقات من ثم يمكن أن تحصر العديد من القضايا التي ينبغي النظر فيها من قبل دول الحوض بهدف زيادة موارد النيل أو الإستفادة منه بصورة أفضل مما يحقق إستقراراً سياسياً واقتصادياً لهذه الدول ونحصرها في التالي : -

١- زيادة موارد النيل .
٢- توزيع الموارد اخذين في الاعتبار الإتفاقات التاريخية ومحاولة التوفيق بينها ومستجدات دول الحوض .
٣- النظر والإتفاق حول قيام مشروعات إنتاج الطاقة الكهرومائية .
٤- مشرعات التخزين .
٥- مشروعات ترشيد المياه .
٦- البيئة الطبيعة على امتداد النهر .
٧- تبادل المعلومات المناخية والهيدرولجية .

إضافة لما ذكر لابد من الإشارة هنا إلى أن البيئة الطبيعية لحوض النيل تعاني من العديد من المشكلات نوجزها في التالي:-

١- الجفاف الذي ضرب الكثير من البلدان الأفريقية خاصة دول حوض النيل وأبرزها الجفاف في إثيوبيا في عام ٢٠٠٩م والجفاف الذي ضرب السودان في عام ١٩٨٣م . الأمر الذي أدي إلى تزايد حركة نزوح السكان التي نتج عنها الكثير من المشاكل .

٢- التصحر حيث بدا السكان في إزالة الغطاء النباتي فضلاً عن الزحف الصحراوي في السودان مع إنتشار ظاهرة القطع الجائر للغابات وقد أصدرت الأمم المتحدة إتفاقية دولية لمكافحة التصحر .[١٨]

٣- إنتشار الجنائن النيليه .

٤- التلوث .

٥- الفيضانات .

ومجمل القول أن كل ما ذكر يحتاج إلى تعاون مثمر بين دول الحوض لمناقشة هذه الموضوعات وإيجاد الحلول اللازمة لها .

أهم وابرز الإتفاقيات حول مياه النيل :

عُقدت العديد من الإتفاقيات حول مياه النيل ويلاحظ أنها كانت في الفترة التي كانت القارة الأفريقية تقع تحت الإستعمار الأوربي البغيض بشتى أنواعه ومسمياته وفيما يلي نذكر هذه الاتفاقيات:

(١) إتفاقية ١٨٩١م بين بريطانيا ممثلة لمصر وايطاليا ممثلة لاثيوبيا وتلزم الإتفاقية ايطاليا بان لا تقيم منشأت على نهر عطبرة من شأنها أن تؤثر علي موارده.

(٢) إتفاقية ١٩٠٢م بين كل من بريطانيا ممثلة لمصر وإثيوبيا وقد ألزمت الإتفاقية إثيوبيا بأن لا تقيم منشات على النيل الأزرق أو بحيرة تانا أو نهر السوباط تؤثر علي تدفق مياه النيل .

(٣) إتفاقية ١٩٢٩م بين الحكومة المصرية والحكومة البريطانية ممثلة للسودان ويوغندا كينيا تنزانيا ونصت علي إلزام السودان والدول المذكورة معه أن لا تُقيم مشروعات توليد كهرباء سواء كان على النيل أو أي من فروعه أو الخيران التي تتكون منها هذه الفروع في السودان أو الدول التي ذكرت والتي تقع تحت الإدارة البريطانية أو أي مشروعات تؤدي إلي إنقاص المياه التي تصل إلى مصر أو تؤدي إلي نقصان المناسيب أو حتى تعديل مواقيت وصول المياه .

(٤) إتفاقية ١٩٥٩م يين مصر والسودان [١٩]وفيما يلي نصوب بعض وجهات النظر حول هذه المعاهدات:

أولاً : تري بعض دول الحوض خاصة مصر والسودان إلزامية هذه المعاهدات وفقاً لنصوص القانون الدولي إستناداً إلي إتفاقية فينا المبرمة في عام ١٩٧٨م والتي تنص علي سريان مثل هذه الإتفاقيات ومنعت الإلغاء أو التعديل إلا باتفاق الدول الموقعة وهو أمر يتعذر وربما يؤدي إلي تفجر الخلافات إن لم تسد نظرة عقلانية واقعية بين دول المنبع والمصب تراعي التوازن بين مطلوبات الحاضر والظرف الدولي والإقليمي الذي تسعى فيه العديد من الدول التي تتقاطع مصالحها مع دول الحوض إلي بذر الخلاف بين دول الحوض وهو أمر ينبغي التنبه له ودرء مخاطره.

ثانياً : حينما عُقدت الإتفاقيات المذكورة كانت دول الحوض مستعمرة ولا تملك حق الإعتراض علي ذلك فان اغلب هذه الدول لم تكن في حاجة إلي المياه.

ثالثاً : يلاحظ أن هذه الإتفاقيات عنت بحقوق دول المصب وخاصة مصر أكثر من غيرها من الدول.

رابعاً : التطور الواضح في القانوني الدولي وهو أمر يجب أخذه في الحسيات عند مناقشة هذه الإتفاقيات خاصة أن إتفاقية فينا مضي عليها الآن حوالي أكثر من ثلاثين عاماً ولابد أن هنالك كثير من المفاهيم والقوانين التي تحكم مجال العلاقات التي تحكم مجال العلاقات الدولية وقد حدث فيها الكثير من التغيير في المفاهيم التي تحقق مبادئ العدالة من ثم فعل علي كل من

مصر والسودان مناقشة التوتر والذي تقوده سبع من دول المنبع بزعامة إثيوبيا ، أن تراعي المصالح الاقتصادية والاجتماعة والسياسية لهذه الدول وتعمل علي احتواء الخلاق حتى لا تكون المنطقة عرضة للتدخلات الدولية والإقليمية .[٢٠] علماً بأن كل من إثيوبيا ويوغندا وراوندا وتنزانيا قد وقعت إتفاقاً منفرداً في ٢٠١٠/٥/١٤م ، قاطعته كل من الكنغو وبورندي وامتنعت كينيا بينما تم رفضه من قبل كل من السودان ومصر ويُشير الإتفاق إلي ضرورة تقاسم مياه النيل.

أهمية الموقع الجغرافي لدول حوض النيل:

تتمتع دول حوض النيل بموقع استراتيجي هام ويتأكد ذلك من النظر إلي خريطة المنطقة ويمكن تبيان ذلك في الآتي :

(١) تُطل بعض دول الحوض علي معابر مائية مهمة تشمل كل من البحر الأحمر ،البحر الأبيض المتوسط ، الخليج العربي ،المحيط الهندي مما يجعلها تتحكم في خطوط التجارة الدولية.

(٢) تُشكل بعض دول حوض النيل ثقلاً في منطقة القرن الأفريقي ذات الأهمية البالغة في السياسة الدولية في يوميا هذا .

(٣) تُعتبر المنطقة منطقة صراعات وإنقسامات فضلاً عن إنتشار الحروب الأهلية ، ونزاعات الحدود بين هذه الدول .[٢١] وتزداد أهمية نزاعات الحدود والإنقسامات أهمية إذا ما تم ربطها بالتوازنات الإقليمية والدولية مما يؤثر علي الأمن والسلم العالميين ويفتح الباب واسعاً للتدخل الإقليمي والدولي .

التعقيدات الدولية والإقليمية وآثرها علي دول حوض النيل :

ترتبط دول حوض النيل مع بعضها في تجمعات اقتصادية وإقليمية نذكر منها علي سبيل المثال مجموعة الساحل والصحراء تضم ٢٨ دولة وقد تأسست في ٤ فبراير ١٩٩٨م وتضم علي سبيل المثال كل من مورتانيا – النيجر – السودان – السنغال – مالي – تشاد – ليبيا – أفريقيا الوسطي ، ثم مجموعة الإيقاد وتشمل كل

من يوغندا – اثيوبيا – جبوتي – كينيا – السودان – الصومال ومن هذه المنظومات أيضاً مجموعة الكومسا التي تضم ١٩ دولة من شرق وجنوب أفريقيا، وقد تأسست في ديسمبر ١٩٩٤م ثم تأتي مجموعة الدول المطلة علي هضبة البحيرات العظمي وهي السودان – إرتريا – كينيا – تنزانيا – فضلاً عن مجموعات أخري مثل الاوكام – الايكاس – السادك ، ولا ننس مبادرة حوض النيل .[٢٢]

ومما يؤكد تشتت الأفكار واختلاف الرؤى وتباين المواقف بين دول حوض النيل حول الإتفاقيات السابقة المتعلقة بالمياه مقارنة مع ما يجري في الساحة الدولية ما حدث من تباين المواقف حول إتفاقية استخدام المجاري المائية الدولية في الأغراض غير الملاحية في الجلسة ٩٩ في ١٩٩٧/٥/٢١م [٢٣] وقد تضمنت الإتفاقية المبادئ السائدة في القانون الدولي بشأن المياه ، وقد أيدت من قبل ١٢٠ دولة ، في الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وبالرغم من ذلك تباينت مواقف دول حوض النيل حيث أيدتها كل من كينيا والسودان ، بينما وجدت معارضة من بورندي ، وامتنعت عن التصويت مصر وإثيوبيا ورواندا وتنزانيا – بينما غابت عن الجلسة كل من يوغندا وارتريا والكنغو .

وبما أن حق المياه أصبح من القضايا المتداولة في عالم اليوم ، حيث تعقد له المؤتمرات وتبني عليه التحالفات ونشير هنا إلي المنتدى العالمي للمياه الذي عقد في استنبول في مارس ٢٠٠٩م علي سبيل المثال لا الحصر. ومن الواضح أن النقاش يدور حول أنصبة الدول من المياه حيث يتم التفاهم بصورة سلمية وقد برزت خلافات وتعقيدات سياسية بسبب التوزيع غير العادل .[٢٤]

ومما هو جدير بالذكر أن الإرث العالمي يبلغ حوالي ١٤٥ معاهدة حول موضوع المياه ولم يثبت في جميع هذه المعاهدات أن المياه كانت سبباً في حرب من الحروب لوحدها ، مع ملاحظة أن هذه المعاهدات تحوي التفاصيل للخلافات حول المياه تحل بعض الخلافات بصورة جذرية بينما تظل بعض الخلافات معلقة دونما الوصول لحلول لها .

إلا أن مستجدات الساحة الدولية والإقليمية والتوازنات تلقي بظلالها بصورة اكبر وأوضح في منطقة حوض النيل ، خاصة إذ نظرنا لخارطة التوازنات في المنطقة وتقود الولايات المتحدة مشاريع إستراتيجية للتوازنات في القارة الأفريقية والمنطقة العربية لتحقيق مصالحها ومصالح حليفتها إسرائيل وتهدف هذه المشاريع والمخططات إلي تفتيت المنطقة خاصة دولتي المصب مصر والسودان وفيما يلي طائفة من هذه المشروعات والتوازنات :

١- مشروع إتحاد شرق أفريقيا (كينيا – اوغندا – تنزانيا) وهو مشروع إستعماري بريطاني قديم كان من المفترض أن يشمل جنوب السودان ومن المتوقع في الظرف الدولي الراهن أن يضم دولة مستقلة تنشأ في جنوب السودان – وبالتالي يضعف تجمع الكوميسا والدور المصري في القارة الأفريقية خاصة أن مصر شكلت غياباً عن القارة وقد بدأت في الظهور علامات إضمحلال الدور المصري في القارة الإفريقية .

٢- مشروع خليج غينيا للاستيلاء على بترول دول غربي ووسط أفريقيا على أن تستخدم دول المنطقه المعنية كأذرع لها في القارة الأفريقية (نيجريا تشاد - السنغال – انجولا) .

٣- مشروع تفتيت وحدة السودان ومن ثم خنق مصر وإحكام السيطرة عليها ٠

٤- مشروع القيادة العسكرية الأمريكية الأفريقية ((افريكوم)) ٠

٥- مشروع القرن الأفريقي . [٢٥]

٦- مشروع دولة التوتسى الكبرى في منطقة البحيرات العظمى خاصة بعد أن وصلوا للحكم في كل من رواندا وبورندى وترحب أمريكا وإسرائيل بقيام هذه الدولة التي تضم المجموعات الآثنية بالإضافة للدولتين المذكورتين أوغندا وشرق الكنغو الديمقراطية وربما جنوب السودان في حال انفصاله ويتزعم هذا المشروع الرئيس اليوغندى يورى موسفيني .[٢٦]

٧- الدور الذي تلعبه يوغندا بحكم الموقع الاستراتيجي في ألمنطقه إذ تجاور

ستة من دول حوض النيل و السودان – كينيا – تنزانيا – بورندى – الكونغو الديمقراطية – رواندا ٠

٨- الدور الكيني في منطقة حوض النيل والقرن الإفريقي والدور الذي تلعبه من خلال تجمع الكوميسا والإيقاد وقد وضح ذلك جلياً في تسوية النزاع في جنوب السودان باتفاقية نيفاشا واتفاقية السلام الشامل بين حكومة جمهورية السودان والحركة الشعبية لتحرير السودان/ والجيش الشعبي لتحرير السودان الموقعة في التاسع من يناير ٢٠٠٥ بنيروبى .[٢٧]

ختاماً وبالرغم من التعقيدات الإقليمية والدولية فهنالك عدة عوامل يمكن أن تلعب دوراً محورياً في تهدئة العلاقات في منطقة حوض النيل لتصبح تكتلاً إقليميا موحداً بنزع عوامل التوتر بين دول ألمنطقه وابرز العوامل التـي يمكـن أن تساعـد علـى الإستقرار تتلخص في التالي :-

ضرورة التحرك المصري الفعال في منطقة حوض النيل بقيادة مشروع التكامل الاقتصادي والاجتماعي والسياسي بالتنسيق مع السودان ٠

تثبيت السلام في مناطق النزاع في جمهورية الكنغو الديمقراطيـة ورواندا وبورندى٠

العمل على ضمان وحدة السودان بمشروعات هادفة قبل إستفتاء يناير ٢٠١١م **تسوية النزاع الاثيوبى – الاريتري .**[٢٨]

وبالرغم مما ذكر يجدر بنا أن نتذكر أن المنطقة تسودها العديد من التوترات التي تشكل ذريعة للتدخل الدولي إذ تنتشر المنظمات ذات الطابع الديني المتطرف والاثنى مثل جيش الرب- جبهة الاورومو المسلمة النزاعات الإنفصالية في كل من إثيوبيا وجنوب السودان وغيرها من دول المنطقة ٠ محاولات التدخل الدولي في جنوب السودان ومنطقة دارفور- القضية الصومالية٠

كل هذه الإشكالات تشكل محوراً مهماً للتدخلات الأمريكية والأوربية ٠

يضاف إلى ذلك محاولات التغلغل الإسرائيلي في القارة الأفريقية للتحكم في

العديد من السياسات المتعلقة بشتي شئون القارة ويشكل التدهور – الاقتصادي والاجتماعي في المنطقة بوابة يمكن لإسرائيل أن تطل من خلالها على القارة الأفريقية بدعوى تحسين أوضاع إنسانها وتحقيق الرفاهية والمتتبع للتحليلات السياسية هذه الأيام يلحظ النشاط الإسرائيلي الذي يسعى لتطوير التقانات الزراعية في دول منابع النيل ليتوافق هذا الأمر مع دعوة إثيوبيا لتوقيع إتفاقية من سبع دول من دول المنبع خلافاً لرغبة مصر والسودان وقد وضح ذلك جلياً في مؤتمر شرم الشيخ أبريل ٢٠١٠ ٠

عليه فان التعاون بين دول حوض النيل يصبح واقعاً لابد من التعامل معه بهدف تطويره وترقيته لتحقيق تنمية تحقق مصالح جميع الأطراف اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً وامنياً ٠ خاصة أن العديد من البحوث أثبتت أن نهر النيل يمثل وحدة هيدورولجية واقتصادية ومصالح مشتركة بين جميع دولة ٠ إضافة إلي ذلك فإن المنطقة تُعتبر مهداً لحضارات عريقة كالفرعونية في مصر والمروية في السودان الأوسط وحضارة اكسوم في منابع النيل الأزرق ثم أصبحت مهداً للحضارة الإسلامية وأصبح حوض النيل مكاناً لإنصهار الحضارات الأفريقية بالحضارة الإسلامية .[٢٩]

قائمة المصادر والمراجع

- **حبيب ، الدكتور فتحي محمد :** جغرافية أفريقيا دراسة إقليمية للقارة مع التطبيق علي دول جنوب الصحراء – دار المعرفة الجامعية – بدون تاريخ.
- **سعودي ، الدكتور محمد عبد الغني :** افريقية دراسة في شخصية القارة وشخصية الأقاليم – مكتبة الانجلو المصرية – بدون تاريخ.
- **أبو عبلة ، الدكتور فتحي محمد :** جغرافية أفريقيا (دراسة إقليمية للقارة مع التطبيق علي دول جنوب الصحراء) – دار المعرفة الجامعية – بدون تاريخ.
- **المهدي ، الصادق :** مياه النيل الوعد والوعيد – سبتمبر ٢٠٠٠م.
- **هويدي ، الدكتور فهمي :** اللاعبون والمتفرجون في حوض النيل - صحيفة الرأي العام العدد رقم (٤٥٢٢)الأحد ٢ مايو ٢٠٠٠م.
- العلاقات السياسية والاقتصادية بين دول حوض النيل – مقال بالشبكة العنكبوتية.
- إتفاقية السلام الشامل بين حكومة السودان والحركة الشعبية لتحرير السودان – الجيش الشعبي لتحرير السودان الموقعة بنيروبي ٩ يناير ٢٠٠٥م.
- **دول حوض النيل الإستمرارية والتغير :** المؤتمر العالمي الرابع – أوراق مختارة : معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية – جامعة الخرطوم ١٩٨٢م.

الهـــــوامـــــش

(١) سعودي ، الدكتور محمد عبد الغني : افريقية دراسة في شخصية القارة وشخصية الأقاليم – مكتبة الانجلو المصرية – بدون تاريخ ص ٢٥١.

(٢) سعودي : مرجع سبق ذكره – ص ٢٥٢.

(٣) سعودي : مرجع سبق ذكرع – ص ٢٥٢ الاستوائي ، السافنا ، الصحراوي ، البحر المتوسط ، الموسمي لهضبة الحبشة.

(٤) النهر الاول في الطول المسسيبي وروافده ويبلغ طوله حوالي ٦٧٦٠ كلم.

(٥) سعودي: مرجع سبق ذكره في ٢٥٧ .

(٦) الشبكة العنكبوتية- مقال بعنوان : العلاقات السياسية والاقتصادية بين دول حوض نهر النيل ص ١.

(٧) تحولت علي يد اقباط مصر وكان مطران الحبشة يعين من مصر حتى عام ١٩٥١م.

(٨) ابوعبلة : مرجع سبق ذكره ص٤٧٢.

(٩) المرجع السابق نفسه ص ٤٤٨-٤٤٩.

(١٠) ابو عبلة : مرجع سبق ذكره ص ٤٦.

(١١) سعودي : الدكتور محمد عبد الله الغني : افريقية دراسة في شخصية القارة وشخصية الأقاليم – مكتبة الانجلو المصرية – ص٢٥.

(١٢) سعودي : مرجع سبق ذكره ص ٣٦٨.

(١٣) حبيب : الدكتور عزيز محمد : السودان دراسات طبيعية واقتصادية – طبعة١ مكتبة الانجلو المصرية – ١٩٧٢م – ص٦/٧.

(١٤) المهدي : الصادق : مياه النيل الوعد والوعيد – سبتمبر ٢٠٠٠م – طبعة٢.

(١٥) مصادر المياه العذبة هي الأمطار – الأنهار – المياه الجوفية.

(١٦) دول منابع النيل تتوفر بها بدائل مائية أكثر بينما تقل البدائل في مصر من دول المصب ويعتبر السودان أفضل حالاً من مصر.

(١٧) العلاقات السياسة والاقتصادية – مرجع سبق ذكره طبعة١.

(١٨) المهدي : الصادق مرجع سبق ذكره – ص ٣٢.

(١٩) المهدي : الصادق – مرجع سبق ذكره – ص ٣٥.

(٢٠) جري الخلاف بين دول المنبع ودول المصب في مؤتمر شرم الشيخ بمصر ابريل ٢٠١٠م ونادت اثيوبيا لتوقع اتفاقية بين سبع من هذه الدول الأمر الذي رفضه كل من مصر والسودان .

(٢١) من ابرز مشاكل الحدود النزاع بين إثيوبيا والسودان حول الفشقة وبعض الاراضي الزراعية ، اثيوبيا وارتريا ، مصر والسودان حول حلايب ، مصر وكينيا مثلث اليمي فضلاً عن نزاعات حدودية وقبلية اخري معقدة بين كل من يوغندا ، راوندا ، بورندي ، الكنغو ، تنزانيا وابرزها النزاع بين التوتسي والهوتو .

(٢٢) الشبكة العنكبوتية – مقال العلاقات السياسية والاقتصادية بين دول حوض النيل – ص ٢.

(٢٣) المهدي :الصادق الوعد والوعيد – مرجع سبق ذكره – ص ٤١.

(٢٤) هويدي : الدكتور فهمي : اللاعبون والمتفرجون في حوض النيل – صحيفة الرأي العام - العدد رقم (٤٥٢٢) الاحد ٢ مايو ٢٠١٠م.

(٢٥) هويدي : الدكتور فهمي – الراي العام – مرجع سبق ذكره – ص ٧.

(٢٦) العلاقات السياسية والاقتصادية بين دول حوض النيل – مرجع سبق ذكره – ص ٤.

(٢٧) اتفاقية السلام الشامل ٩ يناير ٢٠٠٥ بنيروبي كينيا - الوثيقة الاصلية .

(٢٨) تم توقيع اتفاقية سلام بين الدولتين في ١٢ ديسمبر ٢٠٠٠م في الجزائر الا ان النزاع الارتري يتجدد من وقت لاخر بين الدولتين .

(٢٩) دول حوض النيل الاستمرارية والتقصير – أوراق مختارة – المؤتمر العالمي الرابع – معهد الدراسات الافريقية والاسيوية – جامعة الخرطوم – ١٩٨٢م.